غزوات المصطفى ﷺ

( ١٤ )

# غَزْوَةُ الطَّائِفِ..

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

## وَتَجَمَّعَ الفَارُّونَ دَاخِلَ الحُصُونِ!!

بَعْدَ انْهِزَامِ المُشْرِكينَ في غَزْوَةِ حُنينٍ ، هَرَبَ مَنْ هَرَبَ مِنْ تِلْكُمُ القَبَائِلِ ، وَكَانَ في مُقَدِّمَتِهِمْ رئيسُهُمْ ( مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ ) .

وَسَارُوا إلىٰ الطَّائِفِ ، وَهُناكَ تَجَمَّعُوا.. وَتَشَاوَرُوا.. وَتَحَصَّنُوا في حُصُونِها .

وَلَمَّا وَصَلَ الخَبَرُ إلىٰ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وَكانَ ذلكَ في شَوَّالَ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ ، أَمَرَ الجَيْشَ الإسْلامِيَّ بِالاتِّجاهِ نَحْوَ الطَّائِفِ ، وَلَمَّا وَصَلَ المُسْلمونَ إلىٰ مَشَارِفِ الطَّائِفِ ، فُوجِئُوا بِأَنَّ المقاتلينَ الفَارِّين مَعَ أَهْلِ

الطَّائِفِ قَدْ تَحَصَّنُوا دَاخِلَ حُصُونِ الطَّائِفِ المَنِيعَةِ! إِذَاً لا بُدَّ مِنْ مُحاصَرَتِهِمْ وَلَو طَالَ الزَّمَنُ .

وَبِالفِعْلِ ؛ حَاصَرَ المُسْلِمُونَ الطَّائِفَ ، وَاسْتَمَرَّ الحِصَارُ قُرابَةَ عِشْرِين يَوْماً ، لَكِنْ دُونَ جَدْوىٰ ، وذلك لأَنَّ الحُصونَ كَانَتْ مَنِيعَةً ، وَالجنودَ كانوا يَرمُونَ المسلمينَ بالنَّبْلِ ، وَمَا إِلَىٰ هُنالكَ .

ثُمَّ نادَىٰ منادي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ مَنْ خَرَجَ إِلَيْنا مِنَ العبيدِ فَهُوَ حُرٌّ لوجْهِ اللهِ .

فَخَرَجَ بَعْضُ العبيدِ ، وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرَةَ نفيعُ ابْنُ مَسْرُوحٍ الحَبَشِيُّ .

* * *

# اضْرِبُوهُمْ بِالمِنْجَنِيقِ!!

ولمَّا طالَ الحِصَار ، وَسَقَطَ مِن المُسْلمينَ الشُّهداءُ ، وَجُرِحَ مِنْهُم الكثيرُ ، عِنْدَئذٍ كانَ لا بُدَّ مِنْ حِيْلَةٍ حَرْبِيَّةٍ تَجْعَلُ المُشْرِكينَ يَسْتَسْلِمونَ .

وشاورَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم المقاتلينَ ، فكانَ الرَّدُّ الجماعيُّ : الرأيُ رأيُكَ يا رَسُولَ اللهِ .

وَتَقَدَّمَ ( سَلْمانُ الفَارِسِيُّ ) رضيَ اللهُ عنهُ إلىٰ الرَّسُولِ ﷺ وَقَالَ :

يَا رسُولَ اللهِ! أَرَىٰ أَنْ تَنْصِبَ المجانيقَ عَلَىٰ

حِصْنِهِمْ ، فَإِنَّا كُنَّا بِأَرْضِ فَارِسَ نَنْصِبُ المِنْجنيقاتِ عَلَىٰ الحُصُونِ وَتُنْصَبُ عَلَيْنا ، فَنُصيبُ مِنْ عَدُوِّنَا ، وَيُصيبَ مِنَّا بالمِنْجَنيقِ .

فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ أَنْ يَقُومَ بِتَصْنِيعِ المِنْجَنيقِ ، فَقَامَ ( سَلْمانُ ) بِتلكَ المَهَمَّةِ عَلىٰ أَكْمَلِ وَجْهٍ ، حَيْثُ نَصَبَهُ عَلَىٰ حِصْنِ الطَّائِفِ .

وَرَاحَ المُسْلمونَ يقْصِفُونَ الحُصُونَ بالمِنْجَنيقِ ، لكنْ دونَ فائدةٍ تُذْكَرُ!

فَأَمَرَ الرَّسُولِ بِقَطْعِ عِنَبِ الكُرومِ... وَبِجَنْيِ مَحصولِ الأشجارِ ، وَبِإِتْلافِ كلِّ ما يستفيدُ منه أهلُ الطَّائِفِ .

وَلكنَّ أَهْلَ الطَّائِفِ لَمْ يَسْتَسْلِموا ، فَجَمَعَ الرَّسُولُ النَّاسَ وَقَالَ لَهُمْ : « لَقَدْ رَأَيْتُ في الرُّؤْيا

كَأَنِّي أُهْدِيَتْ لي قُعْبَةٌ[1] مملوءةً زبداً ، فَنَقَرَهَا دِيْكٌ فَهَراقَ مَا فِيها » .

فَفَسَّرُوا الرُّؤْيَا بِأَنَّهُ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ بَعْدُ بِفَتْحِ مَدِينَةِ الطَّائِفِ!

وَفي اليومِ الثَّاني اسْتَشَارَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ( نَوْفَلَ بْنَ مُعَاوِيَةَ الدّيليّ ) فَقالَ : « مَا تَرَىٰ ؟ » .

فقالَ : ثَعْلَبٌ في جُحْرٍ ، إِنْ أَقَمْتَ عَلَيْهِ أَخَذْتَهُ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَضُرَّكَ!!

* * *

---

(١) أي : وعاءٌ يُستعملُ للسَّوائِلِ .

# أَلاَ تَدعُو عَلَيهِمْ ؟!

وَأصَـــاب المسلميـــنَ مَلَـــلٌ وَنَفَـــاذُ صَبْـــرٍ ، فَاسْتفْسَروا مِنَ الرَّسُولِ بِشَأْنِ أَهْلِ الطَّائِفِ ، فَأَكَّدَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يَأْذَنْ بَعْدُ بِفَتْحِ تِلكَ المَدِينَةِ .

فقالَ عُمَرُ رَضي اللهُ عَنْهُ : يا رسولَ اللهِ ، أَحْرَقَتْنَا نِبَالُ ثَقِيفٍ ، ألا تَدْعو اللهَ عَلَيْهِمْ ؟!

فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ يَدَيْهِ وَقَالَ : « اللَّهمَّ اهْدِ ثَقِيفاً ، وَاكْفِنَا مُؤْنَتَهُمْ » .

وَتَعَجَّبَ الصَّحَابَةُ الأَكارِمُ ـ وَحُقَّ لَهُمْ ذلكَ ـ مِنْ مَوْقِفِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم!

إِنَّ أَهْلَ الطَّائِفِ يَرمُونَ المُسْلمينَ بِالنِّبَالِ ، وَقَدْ جَرَحُوا الكَثيرَ مِنْهُم ، وَقَتَلُوا بَعْضَهُمْ ، ثُمَّ مَعَ ذٰلِكَ يَدْعُو الرَّسُولُ لَهُمْ بِالهِدَايَةِ!!

وَهَزَّ عُمَرُ رضي اللهُ عنهُ رَأْسَهُ ثُمَّ قالَ : أَلَيْسُوا هُمْ ذَاتُهُم ـ أَهْلَ الطَّائِفِ ـ الَّذين آذَوْا رسُولَ اللهِ وَشَتَمُوهُ ؟ وَسَلَّطُوا عَلَيْهِ الغلمانَ وَالمجانينَ ؟ وَأَدْمَوا قدميه ؟ وَطَرَدُوه شرَّ طردَةٍ و...!

وَعِنْدَما هَبَطَ عَلَيْهِ الأَمِينُ جبريلُ يَسْتَأْذِنُهُ بِأَنْ يَقْلِبَ الطَّائِفَ عَالِيَها سَافِلَها ، رَفَضَ صَلواتُ اللهِ عَلَيْهِ ذلكَ بقولِهِ : « أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَلاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً » .

وَرَدَّدَ بعضُ المُسلِمينَ : صَدَقَ مَنْ سَمَّاكَ الرؤوفَ الرَّحِيمَ يَا رَسُولَ الله .

أَجَلْ!

صَدَقَ الله تَعالىٰ عِنْدمَا وَصَفَ حَبِيبَهُ مُحَمّداً بقولِهِ : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾

[التوبة : ١٢٨-١٢٩] .

وَبَدَأَ المُسلمونَ بالانْسِحَابِ ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ بهذا الدُّعَاء ـ وَهُوَ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ ـ :

« قُولُوا : لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ ، صَدَقَ وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الأَحْزابَ وَحْدَهُ ، قُولُوا : آيِبُونَ ، تَائِبونَ ، عَابِدُونَ ، لِرَبِّنا حَامِدُونَ » .

## « .. لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ »

وَسَارَ المُسْلِمونَ باتِّجاهِ المدينةِ المنوَّرةِ ، وَلمَّا وَصَلوا إلىٰ منطِقَةِ ( الجعرانَةِ ) ، نَادىٰ مُنادي رَسُولِ اللهِ القَوْمَ أَنْ قِفُوا ، فَإِنَّ الرَّسُولَ يُرِيدُ أَنْ يَقْسِمَ بينكُمُ الغَنَائِمَ .

فأعطىٰ صلواتُ الله عليهِ المؤلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ - ضِعافَ الإيمانِ - ، وَأَعْطىٰ فُقَرَاءَ المُهاجرينَ النَّصيب الأَكْبَرَ مِنها ، وَحَرَمَ الأَنْصَارَ مِنْ ذلكَ!!

فَشَعَرَ بَعْضُ الأَنْصَارِ بِشَيْءٍ مِنْ عَدَمِ الرِّضَا عَنْ تِلْكَ القِسْمَةِ .

وَلمَّا وَصَلَ الخَبَرُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صلى الله

عليه وسلم ، أَمَرَ أَنْ يَجْتَمِعَ الأَنْصَارُ وَحْدَهُمْ ، ثُمَّ وَقَفَ فيهم خَطيباً ، وَمِمَّا جَاءَ في الخُطْبَةِ الرَّائِعَةِ قولُهُ صَلَواتُ الله عليهِ :

« يـا مَعْشَـر الأَنْصَـارِ! أَلَـمْ آتِكُـمْ ضُـلاّلاً فَهَدَاكُمُ اللهُ ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ ، وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ؟

يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ! أَوَجَدْتُمْ في أَنْفُسِكُمْ في لُعَاعَةٍ[1] مِنَ الدُّنْيا تَأَلَّفْتُ بها قَوماً ليُسْلِموا ، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَىٰ إِسْلامِكُمْ ؟

يا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ! أَلاَ تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالبَعِيرِ ، وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللهِ إِلَىٰ رِحَالِكُمْ ؟

---

(١) أي : البَقِيَّةُ اليَسِيرَةُ .

فَوَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْلا الهجرةُ لكنْتُ امْرأً مِنَ الأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْباً لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ .

اللَّهـمَّ ارْحَـمِ الأَنْصـارَ ، وَأَبْنَـاءَ الأَنْصَـارِ ، وَأَبْنَاءَ أَبْناءِ الأَنْصارِ » .

فَبَكَىٰ الأَنْصَارُ بُكاءً شَدِيداً ، وَقَالُوا : رَضينا بِرَسُولِ اللهِ قَسْماً وَحَظّاً .

ثم اعْتَمَرَ المُسْلِمونَ ، وَدَخَلُوا مَكَّةَ زَائِرينَ ، ثُـمَّ عَـادُوا إِلَـىٰ المَـدِينَـةِ المنـوَّرَةِ ، غـانميـنَ سَالمين...

وآخِرُ دَعْوانا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ

* * *